محاضرة 03

المغرب العربي مفهوم ومشروع وحدة

عرف المغرب العربي المحتل خلال القرن العشرين تطورات حاسمة أثّرت بعمق على الأوضاع السياسية وعلى طبيعة علاقات أقطاره، ولمعرفة طبيعة العلاقات المغاربية وملابساتها ينبغي الإلمام بظروف تبلور فكرة المغرب العربي وتطور مفهومها، واستعراض مختلف تجارب الوحدة والتضامن، فهل تجاوزت الاحزاب السياسية المغاربية عوائق الفرقة والتقسيم؟، وكيف نقيم تجربة النضال المشترك ومساعي الحركة الاستقلالية الجزائرية في تعزيز اواصر العلاقات المغاربية واثراء مشروع المغرب العربي؟ .

إن البحث في موضوع المغرب العربي ارتبط بجدل منهجي حول مفهوم كيانه، وبالعودة إلى التاريخ يمكن فهم صيرورة تكون هذا الكيان عبر مختلف المراحل. فمنطقة المغرب العربي تمثل امتدادا جغرافيا موحدا، وكيانا يشترك سكانه في وحدة الجنس واللغة والدين والتاريخ المشترك، وقد دمجت لعقود في إطار الأمة الإسلامية، وعرفت في العهد الوسيط تجارب وحدة زاخرة، وا ثر انهيار دولة الموحدين برزت كيانات مستقلة تخضع لنفوذ الأسر الحاكمة، وشكل دخول العثمانيين للمغرب العربي، واختراق الإيبيريين لسيادة المغرب الأقصى تحولات كبرى، تمثلت في بروز مفاهيم سياسية جديدة لكيان المغرب العربي، وفتور أو تعليق فكرة الوحدة المغاربية .

إن المغرب ظل مرتبطا بالمشرق، ولم يقطع صلاته بدار الإسلام سواء زمن بناء ذاته المستقلة عن دولة الخلافة أو حين تفككت وحدته التاريخية ووهنت، إذ ظل التواصل الديني والروحي قائما تأكيدا على واجب الانتماء للأمة الإسلامية وللخلافة، كما تدعمت الروابط السياسية والثقافية والاجتماعية، خاصة بفضل التصوف والزوايا والتضامن السياسي أحيانا ([1])وا ن كان المغرب يؤكد انتسابه للأسرة الأوسع للمشرق العربي إلا أنه لم يكن على الدوام تابعا، وأظهر تميزه تجاه المشرق بخصوصياته الجغرافية والحضارية، وقد أدى

[1] أنظر أمحمد مالكي: **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، ط1، م د و ع، بيروت، 1993، ص .ص، 81 . 82 .

اتصاله بالتأثير الغربي في العصر الحديث إلى تدعيم خصوصياته ليشكل كيانا مختلفا عن المشرقلعربي في أمور كثيرة، وا إلى درجة أن نخبه السياسية لم تتجاوب كثيرا مع الوحدة القومية التي ظهرت في المشرق، ولم تنظم لجامعة الدول العربية ونادت بوحدة مستقلة([2]).

وفضلا عن خصوصيات الهوية والانتماء نواجه في دراستنا للمغرب العربي صعوبة تحديد الإطار الجغرافي، وما ترتب عنها من اختلاف المصطلحات والتسميات، إننا نعرف اليوم أن شعوب المنطقة التي استعادت سيادتها شكلت خمسة بلدان مستقلة، متواصلة الجوار متمايزة في الأنظمة الدستورية وفي التوجهات السياسية والاقتصادية، ومتفاوتة في مواردها الطبيعية،ولكن المشروع المغاربي قبل مرحلة الاستقلال اقتصر على ثلاث أقطار محورية هي تونس والجزائر والمغرب بحكم خضوعها لمستعمر واحد،والروابط التي جمعت أحزابها الوطنية، ثم انضافت ليبيا شكليا للمشروع عام 1958، ورسم حضورها في عام 1964 لتصبح عضوا رابعا، وما لبثت أن عادت إلى عزلتها المغاربية عام 1970، وفي عام 1975 انضمت موريتانيا إلى المشروع بعد تسوية خلافاتها مع المغرب، وأدى طفوح قضية الصحراء الغربية إلى عزلة المغرب الأقصى وأحيانا الجزائر عن مشروع البناء المغاربي،وهكذا فإن الكيان المغاربي الذي كان قديما يمتد من السلوم إلى المحيط الأطلسي أصبح عرضة للمساومة الظرفية ولخريطة الأحلاف المتغيرة، فلم تستقر تركيبته ولم تتوضح معالمه إلا في عام 1988([3]).

لقد أطلق المؤرخون العرب لفظ المغرب على المنطقة الواقعة غرب مصر، لكن هذا اللفظ يظل غامضا حتى وا ن حدد بعربي أو إسلامي وقد رسم الدخول العثماني للمنطقة معالم الحدود بين كياناتها الأربعة الرئيسية (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، وصبغ العهد الاستعماري على أقطار المغرب العربي الرئيسية مصطلح شمال إفريقيا، وهو الاسم الذي باركته الدوائر العلمية والاستشراقية واحتضنته النخب المغاربية المتشبعة بالثقافة الفرانكفونية، كما ظهرت مصطلحات أخرى ضمن الثقافة الاستعمارية المحددة لمفهوم الشمال الإفريقي،

---

[2] انظر محمد صالح الهرماسي: **مقاربة في إشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر**، ط1، دار الفكر، دمشق، 2001 ص 35 .

[3] انظر مصطفى الفيلالي: **المغرب العربي الكبير نداء المستقبل**، ط2، م د و ع، بيروت،1989 ص_ص، 20_21.

منها أساسا مصطلح المغرب Maghrab الذي شاع استعماله حديثا، ويشمل أقطار المغرب الثلاث الرئيسية أو الخمسة المكونة لاتحاد المغرب العربي .

وأطلق منذ ثمانينات القرن العشرين على أقطار المغرب العربي لفظ "المغاربية" في الأوساط الصحفية والسياسية، وأخذ به أغلب الباحثين رغم أنه يخترق القاعدة النحوية التي لا تجوز النسبة إلى الجمع وذلك من أجل التيسير والاختصار، إذ تعني كلمة المغاربية جميع الأقطار وتقتصر كلمة المغرب على المغرب الأقصى الذي كان يميز من قبل بمصطلح مراكش وقد اعتمدنا هذه القاعدة في بحثنا.

وقد وقفنا حيارى أمام مسألة البنية العضوية للمغرب العربي، فهل نعد ليبيا وموريتانيا جزءا من لكيان المغاربي الذي نحن بصدد دراسته؟، فقد كانت تونس والجزائر والمغرب وحدها معنية بالمشروع المغاربي لعقود، وسجل الغياب الليبي، بحكم خضوع البلاد للاحتلال الايطالي وتطرفها جغرافيا وعدم ارتباط نخبتها السياسية بالحركات الوطنية المغاربية، ورغم ذلك اعتمدنا ليبيا قطرا مغاربيا مشاركا في المشروع نظرا للاعتبارات الآتية:

ـ تأكيد جبهة التحرير الوطني على اعتبار ليبيا جزءا من المغرب العربي نظرا للعلاقات الوطيدة التي تربطها بليبيا وللدور التضامني الهام الذي نهضت به لصالح الثورة الجزائرية.

ـ اهتمام ليبيا بالبعد المغاربي في سياستها الخارجية منذ الاستقلال، إذ احتضنت المقاومين التونسيين والجزائريين، وربطت علاقاتها مع تونس وجبهة التحرير الوطني، وتجاوبت مع مشروع البناء المغاربي (مؤتمر طنجة، التزام دعم الثورة الجزائرية، حضور مؤتمر 1964)

. الامتداد التاريخي والجغرافي لليبيا في كيان المغرب العربي، فهي تشترك معه في الجغرافيا والدين واللغة والتاريخ، ولا نعدم الشواهد التي تؤكد على ارتباطاتها المغاربية (حضور إدريس السنوسي المؤتمر التأسيسي لمكتب المغرب العربي، وأشكال التضامن المختلفة مع كفاحات المغرب العربي)

وقد شكلت ليبيا همزة وصل بين المغرب والمشرق العربيين على مر العصور، ويمكننا القول أن برقة كانت تاريخيا ألصق بمصر بينما كانت طرابلس ألصق بالمغرب العربي، وأدى الفصل بينهما بين الاستعمارين الانجليزي والفرنسي إلى تعميق حدود الانتماء، فارتبطت برقة بمصر وارتبطت طرابلس التي ألحق قسم منها بالإدارة الفرنسية بالمغرب العربي ([4])، وهذا ما تأكد زمن الثورة الجزائرية حيث كان تضامن الطرابلسيين أبلغ.

أما موريطانيا فكان كيانها السياسي مغيبا حتى عام 1957، وقد ارتبطت حركة التحرر الموريطانية بتوجهين: الأول موال للمغرب الأقصى ويدعو إلى تحرير البلاد ومغربتها، والثاني يؤكد على التوجه الوطني ويعمل لصالح الاستقلال الذاتي للبلاد، ورغم أن جبهة التحرير الوطني ربطت اتصالات متأخرة مع المناضلين الموريطانيين إلا أنها لم تعترف بوطنيتهم المستقلة حفاظا على تضامنها مع المغرب([5])، كما أن الانطواء الموريطاني والاستقلال المتأخر في نهاية عام 1960 لم يفسح فضاء للعلاقات البينية، وعليه لم نعتبر موريطانيا التي قوطعت عربيا عام 1961 ولم ننظم لمؤسسات المغرب العربي الا عام 1975 كيانا سياسيا مستقلا في بحثنا.

[4] انظر صلاح العقاد :**السياسة والمجتمع في المغرب العربي**، معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة، 1971، ص204.

[5] انظر، محمد الميلي: **مواقف جزائرية**، ط1، م و ك، الجزائر، 1984، ص_ص، 154_155.